(٤٣)

(الصحابة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَلاَ نُفرطُ في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ نَتَبَرَّأَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إِلاَّ بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.

هذا شروع من الشيخ في باب عظيم من أبواب العقيدة، يختم به أهل السنة –عادة– متون العقيدة، وأهل السنة والجماعة وسط في هذا الباب بين طرفين: بين قوم قد غلوا، وقوم قد جفوا، فالروافض قد غلوا في علي وآل البيت غلوًا عظيمًا، حتى إن منهم من ادعى ألوهيته، وقوم قد جفوا في علي وآل بيته وأصحاب رسول الله ﷺ حتى كفروهم، وهم الخوارج النواصب، وأهل السنة والجماعة وسط بين الطرفين، وعدل بين عوجين.

والصحابة: جمع صاحب أو صحابي، وحده عنده العلماء وممن يشتغل بتحرير ذلك أهل مصطلح الحديث: **من لقي النبي ﷺ في حياته مؤمنًا به ومات على ذلك.**

وبعضهم يقول: من اجتمع. وهذا أفضل من قول: من رأى. فإنه لا تلزم الرؤية، ربما كان أعمى، فيقال: من لقي النبي ﷺ، أو من اجتمع بالنبي ﷺ، فيجمعهما ظرف مكاني، لا ظرف زماني، وإذا حصلت اللقيا فمن لازم ذلك أن يحصل الظرف الزماني، فاللقيا يحصل بها الزمان والمكان.

وتكون في حياته، لأنه ربما ادعى مدع أنه رأى النبي ﷺ في المنام، وبينهما قرون فيدعي الصحبة، يعني يصبح من نومه فيقول: أبشركم أني صرت من الصحابة، رأيت النبي ﷺ البارحة. هذا لا تثبت به صحبة، لا بد أن يكون رأى النبي ﷺ في حياته، أيضًا تخرج به صورة واحدة، لا أظن أن لها مثالًا آخر: وهو أن من لقي النبي ﷺ بعد موته، وهذا وقع لرجل قدم المدينة في اليوم الذي مات فيه النبيﷺ، ورآه مسجى قد توفي، فهذا قد فاتته الصحبة، رأى النبي ﷺ، واجتمع به بعد موته، فهذا لا تثبت له صحبة.

إذن من لقي النبي ﷺ في حياته مؤمنًا به، فلو لقيه حال كفره ثم أسلم فيما بعد ولم يلقه حال إسلامه فإنه لا يُعد صحابيًا، وهذا ينسحب على كثيرين ممن رأوا النبي ﷺ في الموسم أيام كان النبيﷺ يدعو قبائل العرب إلى الإسلام فيعرضون عنه، ثم أسلموا فيما بعد، بعد موت النبي ﷺ، فلا يحصل لهم وصف الصحبة.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

ولا بد أن يبقى على الإيمان، فلو قُدر أنه لقي النبي ﷺ في حياته وآمن به ثم ارتد ومات على ردته بطلت صحبته، بل بطل كل عمله، قال العلماء: ولو تخلل ذلك ردة، فلو قُدر أنه ارتد ثم عاد إلى الإسلام يعود له وصف الصحبة، كما وقع لطليحة بن خويلد الأسدي الذي ادعى النبوة ثم بعد ذلك عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه، فيعود له وصف الصحبة، فهذا هو حد الصحابي.

ولا ريب أن أصحاب النبي ﷺ مراتب وطبقات:

. منهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار.

. ومنهم من لم يلق النبي ﷺ إلا وهلة، أو رآه في حجة الوداع عن بعد، فهم ليسوا سواء بلا ريب، بينهم مراتب متفاوتة، لكن على وجه العموم من حق أصحاب رسول الله ﷺ محبتهم، فإن محبتهم دين وإيمان وإحسان كما قال الشيخ.

قال: وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ: دلائل هذه المسألة كثيرة جداً، منها قول الله عز وجل في صفة التابعين: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} [الحشر: ١٠] يعني بعد المهاجرين والأنصار، {يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر: ١٠] فدعاؤهم بالمغفرة لإخوانهم السابقين من المهاجرين والأنصار دليل محبتهم، وسؤال الله تعالى ألا يجعل في قلوبهم غلًا للذين آمنوا يدل على نقيض ذلك، فإن معنى تطهير القلوب من الغل أن يكون محلها الحب والود، وكذلك ما جاءت به النصوص، كقول النبي ﷺ: (**حب الأنصار من الإيمان**)، وغير ذلك مما يطول ذكره في ذكر محبتهم.

أيضًا ثناء الله عز وجل عليهم في كتابه: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩] ، الله أكبر، أي تاج، أي وسام كهذه الآية العظيمة في الثناء عليهم؟ فما أعظم خسارة من عاداهم وناوأهم، كذلك يقول الله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: ١٠٠] إلى غير ذلك من الآيات.

قال: نحبهم، وَلاَ نُفرطُ في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم: نفرط من الإفراط، وليس من التفريط، الإفراط أي الغلو، وذلك أن الحب أحيانًا يتجاوز حده، حتى إن النبي ﷺ حذر من هذا في شخصه الكريم فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله)، وهو بهذا يشير إلى ما وقع من الروافض من الإفراط في حب علي، كما يدعون، وإلا لو أحبوا عليًا حقًا ما رفعوه فوق منزلته، بل أنزلوه المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها، لكن تجارت بهم الأهواء ودخلتهم مجوسية ويهودية وغير ذلك من اللوثات الجاهلية، حتى بلغ بهم الأمر مبلغ أن يؤلهوه. فإن السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الحميري قد قالوا: إن

عليًا هو الله، وإنه لم يمت، وإنه يرجع في آخر الزمان. يعني قالوا بعقائد: { يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} [التوبة: ٣٠] ، ولما بلغ عليًا مقالتهم أحضر السبئية ثم خد لهم الأخاديد في باب كندة من أبواب الكوفة، وأضرم فيها النار وألقاهم فيها، قالوا له: أنت الله، أنت أنت. وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قُنْبَرا

فخد الأخاديد وأضرم فيها النار وألقاهم فيها، لهذه المقالة الفاجرة، حتى أنه لما أمر بإلقائهم قالوا: ما ازددنا فيك إلا يقينًا، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار. نعوذ بالله، هكذا من يتجارى به الهوى، وظل الروافض إلى يومنا هذا يغلون فيه غلوًا ويدعونه من دون الله، لطالما سمعناهم يقولون: يا علي. يدعونه من دون الله تعالى، وقد قال الله تعالى {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } [الجن: ١٨] ، ثم سحبوا ذلك على ذريته كالحسن والحسين، فما أكثر ما تسمع: يا حسين، يا فاطمة. يدعونهم من دون الله عز وجل، فقد وقعوا في الشرك الذي حذر منه النبي ﷺ.

قال: وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم: هذا بمقابل ذاك، يعني كما أنا لا نفرط في حب أحد منهم أيضًا لا نتبرأ من أحد منهم، لأن من عقائد الروافض اللئام البراءة من الشيخين، حتى إنهم يقولون: لا ولاء إلا ببراء. أي لا تحصل الولاية لعلي وآل البيت إلا بالبراءة من الشيخين أبي بكر وعمر، هكذا ربطوا بين القضيتين، ونحن نعلم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة إخوان متحابون في ذات الله، ليس بينهم خصومة ولا خُلف، وإنما هؤلاء المهوسون هم الذين تصوروا هذا وأوغروا الصدور واصطنعوا هذه البغضاء ولقنوها لأجيالهم جيلًا بعد جيل.

قال: وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم: إي والله، من أبغض أبا بكر أو عمر فإنه حقيق بالبغض، كذلك من أبغض عليًا فإنه حقيق بالبغض، فإنا نحب جميعهم.

قال: وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إلاَّ بِخَيْرٍ: إنما يذكرهم بسوء الروافض، فإنهم قد شحنوا كتب التاريخ بالأخبار الواهية المكذوبة الموضوعة في مساوئ الصحابة.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآثار المروية في مساوئ الصحابة: إن هذه الآثار المروية منها ما هو كذب[1]، ومنها ما قد زيد فيه ونُقص وغُيّر عن وجهه[2]، والصحيح في ذلك[1] هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فمن

---

[1] يعني في أصله مصطنع موضوع، كما وضع ذلك أبو مخنف لوط بن يحيى من مرويات باطلة توغر الصدور ضد الصحابة الكرام، وفشت في كتب التواريخ.

[2] يعني شيء يكون له أصل مما ابتلى الله تعالى به بعض الصحابة أيام الفتنة لما اختلفوا، فكان علي ومن معه من المهاجرين والأنصار، ومعاوية ومن معه من أهل الشام، وما جرى من طلحة والزبير وعائشة من الفتنة المعروفة التي جرت، فهذه الأمور قد وقعت فعلاً، لكن قد زيد فيها ونُقص وغُيرت عن وجهها، فقد يروي أحد قصة التحكيم بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص –والقصة في أصلها ثابتة– ثم يأتي فيزيد فيها وينقص بما يشوه صورة الصحابة ويخرجهم عن دائرة الحق والأمانة التي يعرفهم بها أهل السنة والجماعة.

اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر، ثم إن لهم من الحسنات السابقة والهجرة والنصرة والعمل الصالح والبلايا ما يكفر الله به من سيئات، ثم ما يُذكر من مساوئهم ما هو إلا نذر يسير مغمور في جنب محاسنهم، فلا كان ولا يكون مثلهم رضوان الله عليهم.

وبهذا يتبين الفرق بين منهج أهل السنة والجماعة القائم على المحبة لسلف الأمة وإحسان الظن بهم جميعًا والتماس المعاذير لهم وصفاء القلوب والمروءة والخلق الكريم، وبين مذهب هؤلاء الروافض الذين يقوم مذهبهم على البغض والكراهية والتكفير والتفسيق والذم والتشنيع وإيغار الصدور والكذب، فرق بين منهج ومنهج، فما أسعد أهل السنة بما هداهم الله تعالى إليه.

قال: ولا نُذْكُرُهُم إِلاَّ بِخَيْرٍ: ولهذا قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا، ونص أهل السنة والجماعة على عدم الخوض فيما شجر بين الصحابة، والمقصود بذلك ألا يتكلم الإنسان ابتداء فيما شجر بين الصحابة ويتخذها مادة تاريخية للمسامرة والحديث، وفعل فلان، وقال فلان، بل يوصد هذا الباب، ويرفع هذا الملف، لكن إن احتيج إلى كشف شبهة أو إزالة لبس أو رد مفتر فإن الإنسان يتجرد لذلك كما فعل ابن العربي حين ألف كتابه: العواصم من القواصم، في تحقيق مواقف الصحابة، وغيره وغيره من العلماء، فإذا فاه هؤلاء المبطلون بأكاذيب وافتراءات على الصحابة الكرام فحق على أهل السنة أن يدفعوا في نحرهم وأن يكشفوا زيفهم ويبينوا الأمر على حقيقته، أما أن يكون ذلك يُفتتح ابتداء فلا، فإن أهل السنة يُعرضون عما شجر بين الصحابة.

قال: ولا نُذْكُرُهُم إِلاَّ بِخَيْرٍ: وقد جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» .

وقيل . وبعض أهل العلم يشكك في سبب القصة . إن سبب القصة: ما وقع من خصومة بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف، غاية ما فيها أن خالد بن الوليد —إن صحت الرواية– قال لعبد الرحمن بن عوف: ما بالكم يا أصحاب محمد[٢] تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها إلى رسول الله ﷺ؟ فلما بلغت مقالته النبي ﷺ قال: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي): فعدّ ذلك نوع سب، فما بالك بمن ليس بصحابي، خالد بن الوليد صحابي تأخر إسلامه بعد صلح الحديبية، قال ذلك في حق صحابي سابق في الإسلام، فكيف إذا لم يكن صحابيًا؟ فكيف إذا تكلم بباطل كما يفعل هؤلاء الروافض؟ ماذا يُقال في حقه؟ إذن لا يُذكرون إلا بخير، وتُلتمس لهم المعاذير، ويُحسن بهم الظن رضوان الله عليهم، لا كان ولا يكون مثلهم، والمدّ هو ربع الصاع، و(نصيفه): ثمن الصاع،

[١] أي مما قد يروى في مساوئهم.

[٢] يعني السابقين.

فلو أن أحدنا أنفق مثل جبل أحد المعروف شمال المدينة ذهبًا خالصًا ما كافأ ذلك ربع صاع أو ثمن صاع ينفقه ذلك الصحابي، لأن فضل الصحبة لا يعدلها شيء، تضاعف العمل مضاعفة عظيمة، فلا بد أن نتولى الصحابة ونحفظ لهم هذه المنزلة العظيمة.

قال: وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ: ألا تلفت نظركم هذه الجملة إلى أمر قد مضى مما استدركناه على المصنف؟ تذكروا جيدًا، ما هي أكبر مسألة تستدرك على متن الطحاوية؟ مسألة الإيمان، ماذا قال الطحاوي؟ قال: والإيمان تصديق بالجنان، وقول باللسان. ولم يجعل الأعمال من مسمى الإيمان، على الخلاف الذي بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء.

لكن تأملوا هنا: قال قولًا هو في الواقع ينقض ما عليه مرجئة الفقهاء، لكن الحب عمل قلبي، فهو –رحمه الله– أنطقه الله بالحق هاهنا، وقال: وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ. إذن الحب عمل قلبي، فهذا دليل على أن العمل داخل في مسمى الإيمان، وأظن أنهم لا يلتزمون بإخراج أعمال القلوب، يعني مرجئة الفقهاء لا يقولون بإخراج أعمال القلوب عن مسمى الإيمان، فكونهم يسلمون بأن أعمال القلوب من خصال الإيمان فهذا ينسحب على أعمال الجوارح، لا فرق، كله عمل، العمل داخل في مسمى الإيمان وجزء مسماه وماهيته.

قال: وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ: وهي كلمات متقاربة، والدين أعم، والإيمان أخص، والإحسان أخص من الإيمان، كما في حديث جبريل.

قال: وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ: والكفر والنفاق والطغيان أيضًا متقاربة، إذ الكفر أعم، والنفاق نوع من الكفر، والطغيان كذلك نوع منه.

المتن:

وَنُثْبِتُ الخِلاَفَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أَوَّلاً لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ، تَفْضِيلاً لَهُ وتَقديماً عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لعُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُم لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيٍّ بن أبي طَالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشدُونَ والأئِمَّةُ المُهْتَدُون.

الشرح:

هذه المسألة تُعرف عند أهل السنة والجماعة بمسألة الخلافة، لا يختلف أهل السنة والجماعة أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، وأن الخليفة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب، وأن الخليفة بعد عمر عثمان، وأن الخليفة بعد عثمان علي، لا يختلف أهل السنة والجماعة على هذا الترتيب أبدًا، بل قد أجمعوا عليه.

وإنما اختلفوا في مسألة المفاضلة بين علي وعثمان، مع إجماعهم على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، حتى إن علي بن أبي طالب قد روي عنه بالتواتر أنه خطب على منبر الكوفة قائلًا: إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. وأنه قال: من بلغني أنه يفضلني على أبي بكر وعمر جلدته حد الفرية. يعني ثمانين جلدة، لا يختلف المسلمون في أن أفضل هذه الأمة

بعد نبيها أبو بكر، كيف وله من السوابق والفضائل ما لا حصر له إلا بمشقة شديدة، حتى قال النبي ﷺ: (ما أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر)، مع أن المنّ لله ولرسوله، ومع ذلك شهد له النبي ﷺ بهذه الشهادة العظيمة، وخلّد الله ذكره في كتابه إذ قال: (**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**) (التوبة: ٤٠)، وأسلم على يديه السابقون الأولون من المهاجرين، منهم على الأقل خمسة من العشرة المبشرين بالجنة، وآخرون كثر، وبذل ماله في ذات الله، وبذل نفسه فداء عن رسول الله ﷺ، ومناقب أبي بكر الصديق أشهر من أن تُذكر، فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

ثم يليه في الفضل عمر بن الخطاب الذي قال النبي ﷺ: (ما لقيه الشيطان في فج إلا سلك فجاً آخر)[1]، فقد كان إسلامه فتحًا على المسلمين، فاليوم الذي أسلم فيه عمر صارع المشركين واشتفى من عتبة بن ربيعة الذي ضرب أبا بكر ضربًا موجعًا فاحشًا، وبرك على بطنه، وصارع بقية قريش، ولم يقم له أحد، وخرج هو وحمزة بن عبد المطلب ببقية المسلمين صفين سماطين وطافوا بالبيت بمرأى من المشركين، لم يتعرض لهم أحد، فكان إسلامه عزًا للإسلام والمسلمين.

وهو كما ورد إثر دعوة النبي ﷺ أن يعز الله الإسلام بأحد العمرين، وورد أن النبي ﷺ دعا بذلك يوم الأربعاء، وأسلم عمر يوم الخميس، إلى غير ذلك من الأمور التي يطول ذكرها في شأن عمر، حتى قالت عائشة: طيبوا مجالسكم بذكر عمر. فإن سيرة عمر سيرة عطرة عجيبة، ولما مد الله تعالى في زمن خلافته وجرت فيها الفتوح، فُتحت الأمصار ودونت الدواوين، جرى فيها من الأحداث الشيء الكثير والمحفوظات أشياء كثيرة، مما يطيب المجالس ذكرها، فكان المسلمون مجمعون على أنه أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر، وإنما وقع الخلاف في المفاضلة بين علي وعثمان.

ففي المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: من قدم عثمان وربع بعلي.

القول الثاني: من فضل عليًا على عثمان.

القول الثالث: من توقف.

وهذه ثلاثة أقوال لا يُخطأ ولا يُبدع ولا يُفسق من قال بأي منها، فإنها محفوظة عن السلف، ولكن الذي استقر عليه أمر أهل السنة والجماعة تفضيل عثمان على علي، ويدل على هذا دلائل كثيرة:

. منها قول ابن عمر: كنا نخاير في عهد رسول الله ﷺ فنقول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. وقد قال النبي ﷺ لما اضطرب أحد: (اسكن أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان).

. وكذلك بشارة النبي ﷺ له بالجنة على بلوى تصيبه، وتزويجه من ابنتيه، ولهذا سمي: ذو النورين.

([1])أخرجه مسلم برقم (١٨٦٣)، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

. وتجهيزه لجيش العسرة.

. وقول النبي ﷺ: (ما على عثمان ما فعل بعد اليوم).

. وقول عبد الرحمن بن عوف الذي كان مسؤولًا عن ترشيح الخليفة واستفتاء المسلمين لما دار الأمر بين عثمان وعلي، قال: رأيت الناس لا يعدلون بعثمان أحدًا.

. وقول أيوب السختياني من التابعين: من قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. لأن المهاجرين والأنصار ارتضوا عثمان خليفة، وقدموه على علي، فمن قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بهم، يعنى انتقص رأيهم، إلى غير ذلك.

ومع ذلك فإن الخلاف في هذا سائغ، فلعلي من الفضائل والسوابق والمناقب الشيء الكثير:

. وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من آمن من الصبيان.

. وهو الذي زوجه النبي ﷺ ابنته فاطمة، وكان له منها ولد، حفدة للنبي ﷺ، الحسن والحسين.

. وهو الذي قال النبي ﷺ عنه يوم خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)، فكان علي، إلى غير ذلك من المناقب، فأهل السنة والجماعة استقر مذهبهم على تقديم عثمان على علي، فصار خلاصة الأمر أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ومن نازع في ترتيبهم في الخلافة فهو أضل من حمار أهله، كما قال الأئمة.

قال: وَنُثْبِتُ الخِلاَفَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أَوَّلاً لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ: وسُمي صديقًا لشدة تصديقه، وقيل: إنه نال هذا الوصف إثر حادث الإسراء والمعراج، لما حدثته قريش بما أخبر به النبي ﷺ، قال: إن كان قاله فقد صدق، فإني أصدقه في خبر السماء يأتيه في المجلس الواحد.

قال: تَفْضِيلاً لَهُ وتَقديماً عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ: أي أنه فاضل مقدم، وقد انعقدت خلافته بالنص الخفي والإيماء والإشارة ومبايعة المسلمين، وذهب ابن حزم إلى أن خلافته انعقدت بالنص الجلي، ولكن هذا لا يتم، لأن النص الجلي أن يقول النبي ﷺ: الخليفة بعدي أبو بكر. ولكن ثم شواهد كثيرة تدل على أن النبي ﷺ أراد ذلك، حتى إنه لما همّ أن يكتب كتابًا لأبي بكر قال: (يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر)، يعني كأنه يقول: لا حاجة، هذا أمر لا يمكن أن يُختلف فيه، فكان كما قال، وكان النبي ﷺ قد استخلفه في الصلاة أيام مرضه، وبايعه المسلمون في سقيفة بني ساعدة، فخلافته ثابتة بالإجماع.

قال: ثُمَّ لعُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ثبتت خلافة عمر بإيصاء أبي بكر إليه وحسم الأمر، إذ لا أحد كان يسامي عمر في الاستحقاق بهذا المنصب، فكان كما قال النبي ﷺ: (حتى أخذها ابن الخطاب فَمَا رَأَيْتُ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ)، في الرؤيا المنامية التي رآها النبي ﷺ، فأمر عمر عظيم لا يختلف عليه الناس في استحقاقه للقيادة والريادة والسيادة، ولذلك كان شجى في حلوق هؤلاء الروافض أحفاد المجوس، وبعثوا إليه من يقتله منهم وهو أبو لؤلؤة المجوسي، ولا زالوا يغلون في أبي لؤلؤة المجوسي بسبب فعلته، ويصنعون له في بلادهم ضريحًا يؤمونه ويعظمونه.

قال: ثُم لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وأما خلافة عثمان فقد ثبتت باتفاق الستة الباقين من العشرة المبشرين ومبايعة المسلمين، وذلك أن الستة الباقين الذين جعل الأمر فيهم عمر قد خرجوا منها حتى آل الأمر إلى علي وعثمان، فانتدب عبد الرحمن بن عوف وقال: أنظر في الناس. وكلوا الأمر إليه وحكموه واعتبروا حكمه حكمًا ملزمًا، فصار يسأل الناس، حتى إنه كان يسأل ذوات الخدور في خدورهن، حتى جمعهم وأخبرهم بأن الناس لا يرضون بغير عثمان، وقبل علي وبايع، ولم يقع بين المسلمين شر أبدًا، إلى أن خرجت الخوارج الغوغاء الذين قدموا من الأمصار، فقتلوا أمير المؤمنين عثمان، فلما وقع هذا المحذور بايع الصحابة علي بن أبي طالب، فانعقدت بيعته بمبايعة المهاجرين والأنصار في مسجد رسول الله ﷺ.

قال: وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ والأئِمَّةُ المُهْتَدُون: الخلفاء الراشدون لقول النبي ﷺ: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ): فأول الناس دخولًا في هذا الوصف هم هؤلاء الأربعة، والخلفاء الراشدون في الواقع لا يختص بهؤلاء الأربعة، بل كل من خلف النبي ﷺ في أمته بالعلم النافع والعمل الصالح فهو خليفة راشد، لكن أولى الناس بالدخول في هذا الوصف هم هؤلاء الأربعة الكرام، فهم الخلفاء الراشدون الذين يذهب الوهل إليهم حينما يقال هذا المصطلح.

والله أعلم.